

# حلب .. عبر التاريخ



إعدادُ  
القسمِ العَامِيِّ بِمُؤَسَّسَةِ الدُّرَرِ السَّنِيَّةِ



الدُّرَرُ السَّنِيَّةُ  
www.dorar.net

## الفهرس

- ٣ ..... مقدمة
- ٤ ..... حلب في عهد الدولة الحمدانية
- ٤ ..... مهاجمة الروم مدينة حلب وتدميرها وذبح أهلها
- ٤ ..... احتلال العبيدين الفاطميين الرافضة مدينة حلب
- ٥ ..... تخلص آل مرداس مدينة حلب من حكم الفاطميين الإسماعيلية
- ٧ ..... حلب في عهد السلاجقة
- ٧ ..... تطهير حلب من الفاطميين الإسماعيلية
- ٧ ..... طمع الفرنج في حلب
- ٨ ..... استنكار أهل حلب على السلطان تقاعسه عن جهاد الصليبيين
- ٩ ..... حلب في عهد الأيوبيين
- ٩ ..... طمع ملك الروم في غزو حلب
- ١٢ ..... حلب في عهد المماليك
- ١٦ ..... العربان يخلصون حلب من تيمورلنك
- ١٧ ..... وأخيرا

## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة

#### الحمدُ لله والصلاة والسلام على رسول الله

شَهِدَتْ حَلَبُ الشَّهْبَاءِ مِنْذُ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ حَوَادِثَ عُدْوَانٍ اسْتُبِيحَتْ فِيهَا دِمَاءُ أَهْلِهَا، وَانْتَهَكَتْ أَعْرَاضَهُمْ، وَنُهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ؛ بِسَبَبِ أَطْمَاعِ النَّصَارَى وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالتَّتَارِ، وَزَادَ مِنْ جُرْحِ حَلَبِ نِزَاعِ أُمَّرَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِهَا. فَبَلَغَ بِهَا الْحَالُ فِي بَعْضِ الْحَوَادِثِ إِلَى إِبَادَتِهَا بِالْكَامِلِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتْ حَلَبٌ تَعُودُ إِلَى سَابِقِ عَهْدِهَا شَاخِجَةً بِأَرْضِهَا وَأَهْلِهَا وَعِلْمِهَا، وَهَذَا عَرَضٌ لِبَعْضِ الْحَوَادِثِ الَّتِي عَاشَتْهَا حَلَبٌ سَابِقًا وَتَعِيشُهَا فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ، جَمَعْنَاهَا لَكُمْ مِنَ الْمَوْسُوعَةِ التَّارِيخِيَّةِ<sup>(١)</sup>؛ لِنَبْعَثَ الْأَمَلَ فِي نُفُوسِ الْأُمَّةِ، وَلِيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنَّ سُقُوطَ حَلَبٍ فِي أَيْدِي الْأَعْدَاءِ لَنْ يَكُونَ لِلْأَبَدِ، وَيَأْذِنَ اللَّهُ سَتَعُودُ أَرْضُ حَلَبٍ وَغَيْرُهَا مِنْ أَرْضِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى أَهْلِهَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ.



(١) ومن أهم المراجع:

(بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم، (تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام) للذهبي، (تاريخ الرسل والملوك) للطبري، (البداية والنهاية) لابن كثير، (المنتظم في تاريخ الأمم والملوك) لابن الجوزي

## حلب في عهد الدولة الحمدانية

### مهاجمة الروم مدينة حلب وتدميرها وذبح أهلها

دخل الروم النصارى حلب سنة ٣٥١هـ بصُحبة الدُّمستق ملك الروم، في مائتي ألفٍ مُقاتل، فنَهَضَ إليهم سيفُ الدولة بن حمدان بمن معه من المُقاتلة، فلم ينتصروا عليهم؛ لكثرتهم، وقُتِلَ الكثيرُ من أصحابِ سيفِ الدولة الذي فرَّ مُنَهَزِمًا، واستحوذَ ملكُ الروم على دار سيفِ الدولة، وأخذ ما فيها من النساءِ والولدان وغيرهم، ثم حاصر سُورَ حَلَب، فقاتل أهلَ البلدِ من ورائه قتالًا عظيمًا، ثم غلبت الرومُ على السُّورِ ففتحوه، وقتلوا كثيرًا من المسلمين، ونهبوا الأموالَ وأخذوا الأولادَ والنساءَ، وخرَّبوا المساجدَ وأحرقوها، وكل ما لم يقدرُوا على حمله أحرقوه، ثم أمرَ ملكُ الرومِ بإحضارِ أسارى المسلمين، وكانوا قريبًا من ألفين، فضربت أعناقهم بين يديه.

### احتلال الغبيديين الفاطميين الرافضة مدينة حلب

لما مات سعدُ الدولة الحمداني حاكمَ حَلَب، سار الوزيرُ أبو الحسن المغربي إلى العزيز الفاطميِّ بمصرَ، وأطمعَه في حلب، فسَيَّرَ العزيزُ سنة ٣٨١هـ جيشًا كثيفًا إلى حَلَب بقيادة منجوتكين، فحصرها، فكتب حاكمَ حَلَب إلى ملكِ الروم لنجدته، فأرسل له نائبه بأنطاكية، فسار في خمسين ألفًا، فلما سمع منجوتكين الخبرَ سار بجنوده إلى الروم ليلقاهم، فهزموا الرومَ، ثم توجهوا إلى أنطاكية، فنهبوها وأحرقوها، وعادوا إلى حَلَب فحصروها، ثم ساروا إلى دمشق، ولما بلغ ذلك العزيزَ الفاطميَّ غضبَ وأمرَ بعودة العسكرِ إلى حلب، فنازل جنوده حَلَب، وأقاموا عليها ثلاثة عشر شهرًا، فقلَّت

الأقواتُ بها، وعاد حاكمُ حَلَبِ إلى مراسلةِ مَلِكِ الرومِ؛ لِنَجْدَتِهِ، فسار جيشُ الرومِ نحو حَلَبِ مُجَدِّدًا، وأبلغَ الجواسيسُ منجوتكين بذلك، فسار كالمُنْهَزِمِ عن حلب، ووصلَ مَلِكُ الرومِ، فنزل على بابِها، وعاد حُكَّامُها إليها.

### تخليصُ آلِ مرداسِ مدينةِ حَلَبِ من حُكْمِ الفاطميين الإسماعيليين

تمكَّنَ صالحُ بنُ مرداسِ مؤسسُ الدولة المرداسية في حلب سنة ٤١٥ هـ من تخليصِ حَلَبِ من تبعيتها للفاطميين العبيديين بعد حصارٍ طويلٍ لقلعتها، وظلَّ يحكُمُها وأبناءؤه ويدافعون عنها فترةً من الزمن، ففي سنة ٤٢١ هـ خرج مَلِكُ الرومِ من القسطنطينية في ثلاثمائة ألفٍ مقاتلٍ إلى الشام، حتى بلغوا قريبًا من حَلَبِ، فلحِقَهم عَطَشٌ شديدٌ، وكان الزَّمانُ صيفًا، وكان في أتباعِ مَلِكِ الرومِ مَنْ يريدُ هلاكَه ليمْلِكَ بعده، فلمَّا بلغَ المَلِكُ ذلكَ، قبضَ على جماعةٍ منهم، فاضطربَ النَّاسُ واختلفوا، ورحلَ مَلِكُ الرومِ، وتبعَهم العربُ وغيرُهم يقتلونَ وينهبون منهم، وهلك كثيرٌ من الرومِ عطشًا، ونجا المَلِكُ وحده، ولم يسلمْ معه من أموالِه وخزائنه شيءٌ البتَّة، {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا}، وقيل في عودِه غيرُ ذلك.

وفي سنة ٤٤٠ هـ وصلت عساكِرُ الفاطميين إلى حَلَبِ في جمعٍ كثيرٍ، فحصروها، وبها مُعزُّ الدولة أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الكلابي، فخرج إليهم ثمال وقاتلهم قتالًا شديدًا لثلاثةِ أيَّامٍ. فلمَّا رأى الفاطميون صَبْرَ ثمال، وكانوا يظنون أن لا أحدَ يقومُ بين أيديهم؛ رحلوا عن البلدِ.

وفي سنة ٤٥٢ هـ دخلت عساكِرُ الفاطميين إلى حَلَبِ بقيادة ناصر الدولة، فنهبوها، ثم وقعت الحربُ بين محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس،

وناصر الدولة بظاهرِ حَلَب، واشتدَّ القتالُ بينهم، فانهزم ناصِرُ الدولة، وعاد مقهورًا إلى مصر، ومَلَكَ محمودٌ حَلَب، واستقام أمرُه بها.

وفي عام ٤٦٣ هـ بعث السُّلطانُ ألب أرسلان إلى محمود بن ثمال بن صالح بن مرداس، حاكمِ حَلَب، يأمره بقطعِ الدَّعوةِ للمُستنصرِ الفاطميِّ، وإقامةِ الدَّعوةِ للخليفةِ العباسيِّ، فُقطِعَتِ الدَّعوةُ للعُبَيديين من حَلَب، ولم تُعدْ بعد ذلك.



## حلب في عهد السلاجقة

### تطهير حَلَب من الفاطميّين الإسماعيليّة

كان لرضوان بن تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان، حاكم حَلَب، سيرةٌ غيرٌ محمودّة، وكان يستعينُ بالباطنيّة في كثيرٍ من أموره، ولَمَّا مات ومَلِك ابنُه ألب أرسلان الأخرس سنة ٥٠٧هـ، أشار عليه أعيانُ حلب بالإيقاع بالباطنيّة وقتلهم، فأمره الأخرسُ بذلك، فقبَضَ على إمامهم أبي طاهر الصائغ، وعلى جميع أصحابه، فقتل أبا طاهرٍ وجماعته، وأخذ أموالَ الباقيين وأطلقهم.

### طَمَعُ الفِرْنَج في حَلَب

لَمَّا مَلِك الفِرْنَج مدينةَ صور سنة ٥١٨هـ، طَمَعوا في الشّام، ثمَّ وصل إليهم مَنْ أطمَعهم في حلب - وهو ديبس بن صدقة صاحبُ الحلة - وقال لهم: إنَّ أهلها شيعةٌ، وهم يميلون إليّ؛ لأجل المذهب، فمتى رأوني سلّموا البلد إليّ، وقال: إنني أكونُ هاهنا نائباً عنكم ومُطيعاً لكم. فساروا معه إليها وحصروها، وقاتلوا قتالاً شديداً، ووطّنا نفوسهم على المقام الطويل، وأنّهم لا يفارقونها حتى يملكوها، وبنوا البيوت لأجل البردِ والحَرِّ، فلمَّا رأى أهلها ذلك ضعفت نفوسهم، وخافوا الهلاك، وظهر لهم من حاكمهم تمرتاش الوهنُ والعجزُ، وقلّت الأوقاتُ عندهم، فأعملوا رأيهم ليتخلّصوا منه، فرأوا أنّه ليس لهم غيرُ البرسقي التركي، صاحبِ الموصل، فأرسلوا إليه يستنجِدونه لِيُسلّموا البلد إليه، فجمعَ عساكره وقصدهم، وأرسل إلى مَنْ بالبلد، وهو في الطريق، يقول: إنني لا أقدرُ على الوصولِ إليكم، والفِرْنَج يُقاتلونكم، إلّا إذا سلّمتم القلعة

إلى نُؤَابِي، وصار أصحابي فيها؛ فَإِنِّي لا أدري ما يُقَدِّرُهُ اللهُ تعالى إذا أنا لَقِيتُ الفِرْنَجَ، فإن انهزمتنا منهم وليست حلب بيد أصحابي حتى أحتمي أنا وعسكري بها؛ لم يبق منا أحدٌ، وحينئذ توخَّذُ حَلَبَ وغيرُها، فأجابوه إلى ذلك، وسَلَّمُوا القلعةَ إلى نُؤَابِي، فلما استقرُّوا فيها واستولوا عليها، سار في العساكِرِ التي معه، فلَمَّا أَشْرَفَ عليها، رحل الفِرْنَجُ عنها، وهو يراهم، فأراد مَنْ في مقدِّمةِ عَسْكَرِهِ أن يَحْمِلَ عليهم، فمَنَعَهُمْ هو بنفسه، وقال: قد كُفِينَا شَرَّهُمْ، وَحَفِظْنَا بِلَدْنَا مِنْهُمْ، والمصلحةُ تَرُكُهُمْ حتى يتَقَرَّرَ أمرُ حَلَبَ ونُصَلِّحَ حالها، ونُكثِرَ ذخائِرَها، ثم حينئذ نقصِدُهُمْ ونقاتِلُهُمْ. فلما رحل الفِرْنَجُ خرج أهل حلبٍ ولقوه، وفرحوا به، وأقام عندهم حتى أصلحَ الأمورَ.

### استنكارُ أهلِ حَلَبَ على السلطانِ تَقَاعُصَهُ عن جِهَادِ الصَّليبيِّينِ

في عام ٥٠٥هـ ورد رسول ملك الروم إلى حاكمِ حَلَبَ يستنفرُهُ على الفِرْنَجِ، ويحثُّه على قتالهم ودفْعِهِمْ عن البلاد، فكان أهلُ حَلَبَ يقولون لسلطانهم: أَمَا تَتَّقِي اللهُ تعالى أن يكونَ مَلِكُ الرُّومِ أكثرَ حَمِيَّةً منك للإسلامِ، حتى أرسَلَ إليك في جهادِ الفِرْنَجِ.





## حلب في عهد الأيوبيين

توالت الغارات من ابن ليون الأرمني، صاحب الدروب، على ولاية حلب، فنهب وحرق، وأسر وسبى، فجمع الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف، حاكم حلب عساكره سنة ٦٠٢ هـ واستنجد بالملوك، فجمع كثيرًا من الجنود، وسار نحو ابن ليون، وطالت الحرب حتى انهزم المسلمون، ونال العدو منهم، فقتل وأسر وغنم، ثم عاد الأرمن إلى بلادهم بما غنموا، واعتصموا بجبالهم وحصونهم.

### طمع ملك الروم في غزو حلب

سار كيكافوس بن كيخسرو ملك الروم سنة ٦١٥ هـ إلى ولاية حلب؛ للتغلب عليها، ومعه الأفضل بن صلاح الدين يوسف، فقد قال له ذوو الرأي من أصحابه: لا يتم لك هذا الأمر إلا بأن تصحب معك أحدًا من بيت أيوب؛ ليسهل على أهل البلاد وجندها الانقياد إليه، وهذا الأفضل بن صلاح الدين هو في طاعتك، فأحضر الأفضل، وتم الاتفاق على أن يكون ما يفتح من حلب وأعمالها للأفضل، مع بقائه في طاعة كيكافوس، ثم يقصدون ديار الجزيرة، فما يفتحونه مما بيد الملك الأشرف مثل: حران والرّها من البلاد الجزرية، تكون لكيكافوس، وجرت الأيمان على ذلك، وجمعوا العساكر وساروا، فملكوا قلعة رغبان، فتسلمها الأفضل، فمال الناس حينئذ إليهما، ثم سارا إلى قلعة تل باشر، وفيها صاحبها ولد بدر الدين دلدريم الياروقي، فحصره، وضيّقوا عليه، وملكوها منه، فأخذها كيكافوس لنفسه، ولم يسلمها إلى الأفضل، فاستشعر الأفضل من ذلك، وقال: هذا أول الغدر، وخاف أنه إن ملك حلب يفعل به

ذلك، فيكون قد قلع بيته لغيره، فأعرض عمّا كان يعتزّمه، وأما صاحبُ حلب فخاف أن يحصروه، وربّما سلّم أهل البلد والجند المدينة إلى الأفضل؛ لميلهم إليه، فأرسل إلى الملك الأشرف ابن الملك العادل، صاحب الديار الجزرية وغيرها، يستدعيه إليه؛ لتكون طاعتهم له، ويخطبوا له، ويجعل السكّة باسمه، ويأخذ من أعمال حلب ما اختار، فجمع عسكره وأحضّر إليه العرب من طيّب وغيرهم، ونزل بظاهر حلب، ولما أخذ كيكائوس تلّ باشر كان الأفضل يشير بمعاجلة حلب قبل اجتماع العساكر بها، وقبل أن محتاطوا ويتجهّزوا، فعاد عن ذلك، وصار يقول: الرأي أننا نقصد منبج وغيرها؛ لئلا يبقى لهم وراء ظهورنا شيء؛ قصدًا منه للتمادي، فتوجّهوا من تل باشر إلى جهة منبج، وتقدم الأشرف نحوهم، وسارت العرب في مقدّمته، فانهمز عسكر كيكائوس، وأكثر العرب الأسر والنهب منهم، ثم سار الأشرف، فملك رغبان، وحصر تل باشر، وبها جمع من عسكر كيكائوس، فأخذت القلعة منهم، وأطلقهم الأشرف، وسلّم تل باشر وغيرها من بلد حلب إلى شهاب الدين أتابك، صاحب حلب، وكان عازمًا على ملاحقة كيكائوس، ودخول بلاده، فأتاه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل، فاقترضت المصلحة العود إلى حلب.

وفي عام ٦٣٨هـ أغار الخوارزمية على بلاد قلعة جعبر وبالس ونهبوها، وقتلوا كثيرًا من الناس، ففرّ من بقي إلى حلب ومنبج، واستولى بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل على شجار، وانضمت الخوارزمية إلى صاحب الموصل، فصاروا نحو اثني عشر ألفًا، وقصدوا حلب، فخرج إليهم عسكر من حلب، فانهمزوا وقتل أكثرهم، وغنم الخوارزمية ما معهم، فامتنع الناس بمدينة حلب، وفعل فيها كل قبيح من السبي والقتل والتخريب، ووضعوا السيف في أهل منبج، وقتلوا فيها ما لا يحصى عدده

من الناس، وخرَّبوا وارتكبوا الفواحش، وقتلوا الأطفال، وبعد عامين هزمَ الحلبيون الخوارزمية، وكانت هزيمةً عظيمةً مُنكرةً، وغنموا من أموالهم شيئاً كثيراً جداً.



## حلب في عهد المماليك

نزل هولاءكو المغولي حرّان سنة ٦٥٧ هـ واستولى عليها ومَلَك بلاد الجزيرة، ثم سيّر ولده أشموط بن هولاءكو إلى الشّام وأمره بقطع الفُرات وأخذ البلاد الشاميّة، وسيّره في جمع كثيف من التتار، ووصل الخبر إلى حلب بذلك، وكان نائب السلطان بحلب الملك المُعظّم توران شاه، فاحترز بحلب غاية الاحتراز، وكذلك جميع نواب البلاد الحلبية، وصارت حلب في غاية الحصانة بأسوارها المُحكّمة البناء وكثرة الآلات، فلما كانت العشرُ الأخرُ من ذي الحِجّة قصد التتارُ حَلبَ ونزلوا على قرية يقال لها سلميّة، وامتدوا إلى غيرها، وسيّروا جماعةً من عسكرهم أشرفوا على المدينة، فخرج عسكر حلب ومعهم خلقٌ عظيم من العوامّ والسُّوقة، وأشرفوا على التتار وهم نازلون على هذه الأماكن، وقد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين، فلما تحقق المسلمون كثرتهم كَرُّوا راجعين إلى المدينة، فأمر الملكُ المُعظّم بعد ذلك ألا يخرج أحدٌ منها، وفي اليوم التالي رحلت التتار من منازلهم طالين مدينة حَلب، واجتمع عسكرُ المسلمين وأخذوا في المشورة فيما يعتمدونه، فأشار عليهم الملكُ المُعظّم أنّهم لا يخرجون أصلاً؛ لكثرة التتار ولقوّتهم وضعف المسلمين على لقائهم، فلم يوافقهُ جماعةٌ من العسكر، وأبوا إلا الخروج إلى ظاهر البلد؛ لئلا يطمع العدوُّ فيهم، فخرج العسكرُ إلى ظاهر حلب، وخرج معهم العوامّ والسُّوقة واجتمع الجميعُ بجبل بانقوسا، ووصل جمعُ التتار إلى أسفل الجبل، فنزل إليهم جماعةٌ من العسكر ليقاتلوهم، فلما رآهم التتارُ اندفعوا بين أيديهم مكرّاً منهم وخديعةً، فتبّعهم عسكر حلب ساعةً من النهار، ثم كَرَّ التتار عليهم فولّوا منهزمين إلى جهة البلد، والتتارُ في أثرهم، فلما حاذوا جبل بانقوسا وعليه بقية

عسكر المسلمين والعوام، اندفعوا كلهم نحو البلد والتتار في أعقابهم، فقتلوا من المسلمين جمعًا كثيرًا من الجند والعوام، ونازل التتار المدينة في ذلك اليوم إلى آخره، ثم رحلوا طالبين أعزاز فتسلّموها بالأمان، ثم عادوا إلى حلب في ثاني صفر من سنة ٦٥٨هـ وحاصروها، حتى استولوا عليها في تاسع صفر بالأمان، فلمّا ملكوها غدروا بأهل حلب، وقتلوا ونهبوا، وسبّوا وفعلوا تلك الأفعال القبيحة على عاديّتهم.

وفي عام ٦٥٩هـ أغار التتار على حلب فلقيهم صاحبها حسام الدين العزيزي، والمنصور صاحب حماة، والأشرف صاحب حمص، وكانت الواقعة شماليّ حمص قريباً من قبر خالد بن الوليد، والتتار في ستة آلاف والمسلمون في ألف وأربعمائة، فهزمهم الله عزّ وجل، وقتل المسلمون أكثرهم فرجع التتار إلى حلب فحاصروها أربعة أشهرٍ وضيقوا عليها الأقوات، وقتلوا خلقاً، والجيش الذين كسروهم على حمص مقيمون لم يرجعوا إلى حلب، بل اتجهوا إلى مصر، فتلقاهم الملك الظاهر في أبهة السلطنة وأحسن إليهم، وبقيت حلب محاصرةً لا ناصر لها في هذه المدّة، ولكنّ الله سبحانه وتعالى سلّم، فجهز الظاهر جيشاً إلى حلب؛ ليطردوا التتار عنها، فلما وصل الجيش إلى غزّة، كتب الفرنج إلى التتار يُنذرونهم، فرحلوا عنها مسرعين، واستولى على حلب جماعةٌ من أهلها، فصادروا ونهبوا وبلغوا أغراضهم، وقدم إليهم الجيش الظاهريّ، فأزال ذلك كله، ثم قدم الأمير شمس الدين آقوش التركي من جهة الظاهر، فاستلم البلد، فقطع ووصل، وحكم وعدل.

وفي سنة ٦٧٩هـ ورد الخبر بمسير التتار إلى البلاد الشاميّة؛ وذلك لما بلغهم من حصول الاختلاف بين المسلمين، فهجمت طوائف التتار على أعمال حلب، وملكوا

عينتاب وبغراض ودربساك، ودخلوا حلب وقد خلت من العسكر، فقتلوا ونهبوا وسبوا، وأحرقوا الجامع والمدارس ودار السلطنة ودور الأمراء، وأقاموا بها يومين يُكثرون الفساد، بحيث لم يسلم منهم إلا من اختفى في المغارات وغيرها، ثم رحلوا عنها عائدين إلى بلادهم بما أخذوه، وظلت حلب بيد التتار حتى انتزعها منهم السلطان قلاوون سنة ٦٨٨هـ، وقتل ملكهم خربندا (نائب التتار على ملطية).

وقد تعرّضت حلب لإبادةٍ كاملةٍ على يد تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ، حيث توجه إلى جهة حلب فوصل إلى عينتاب، وبعث إلى دمرداش نائب حلب يعده باستمراره في نيابة حلب، ويأمره بالقبض على الأمير سودن نائب الشام، فلما قدم عليه الرسول بذلك، أحضره إلى نواب ممالك الشام، وقد حضروا إلى حلب، وهم: سودن نائب دمشق، وشيخ المحمودي نائب طرابلس، ودقماق نائب حماة، وألطنبغا العثماني نائب صغد، وعمر بن الطحان نائب غزة بعساكرها، فاجتمع منهم بحلب نحو ثلاثة آلاف فارس، منهم عسكر دمشق ثمانمائة فارس، إلا أن الأهواء مختلفة، والآراء مفلولة، والعزائم محلولة، والأمر مُدبر، فبلغ رسول تيمورلنك الرسالة دمرداش، فأنكر مسك سودن نائب دمشق، فقال له الرسول: إن الأمير - يعني تيمورلنك - لم يأت إلا بسبب مكاتبتك إليه، وأنت استدعيته لينزل على حلب، وأعلمته أن البلاد ليس بها أحد يدفع عنها، فحنق منه دمرداش، وقام إليه وضربه، ثم أمر به فضربت رقبتة، ويقال: إن كلام هذا الرسول كان من تنميق تيمورلنك ومكره؛ ليفرق بذلك بين العساكر، ونزل تيمورلنك على جبلان خارج حلب، يوم الخميس تاسع ربيع الأول، وزحف يوم الجمعة، وأحاط بسور حلب، وكانت بين الحلبيين وبينه في هذين اليومين حروب، فلما أشرقت الشمس يوم السبت حادي عشر، خرجت نواب الشام بالعساكر، وعامة

أهل حلب إلى ظاهر المدينة، وعبوا للقتال، ووقف سودن نائب دمشق في الميمنة، ودمرداش في الميسرة، وبقية النواب في القلب، وقدّموا أمامهم عامّة أهل حلب، فزحف تيمورلنك بجيوشٍ قد سدّت الفضاء، فثبت الأميرُ شيخ المحمودي نائب طرابلس، وقاتل هو وسودن نائب دمشق قتالاً عظيماً، وبرز الأميرُ عز الدين أزدمر، وولده يشبك بن أزدمر في عدّة من الفرسان، وأبلّوا بلاءً عظيماً، ولم يمض غيرُ ساعة حتى ولّت العساكرُ تريد المدينة، وركب أصحابُ تيمورلنك أقفيتهم، فهلك تحت حوافر الخيل من الناس عددٌ لا يدخلُ تحت حصرٍ، فإنَّ أهلَ حلب خرجوا حتى النساء والصبيان، وازدحم الناسُ مع ذلك في دخولهم من أبواب المدينة، وداس بعضهم بعضاً، حتى صارت الجثثُ بمقدارِ قامّةٍ، والناسُ تمشي من فوقها، وتعلّق نوابُ المماليك بقلعة حلب، ودخل معهم كثيرٌ من الناس، وكانوا قبل ذلك قد نقلوا إلى القلعة سائرَ أموال الناس بحلب، واقتحمت عساكرُ تيمورلنك المدينة، وأشعلوا بها النيران، وجالوا بها ينهبون ويأسرون ويقتلون، واجتمع بالجامع وبقية المساجد نساءُ البلد، فمال أصحابُ تيمورلنك عليهن، وربطوهن بالحبال، ووضعوا السيفَ في الأطفال فقتلوهم بأجمعهم، وأتت النارُ على عامة المدينة فأحرقتها، وصارت الأبقارُ تُفتَضُّ من غير تسرُّ ولا احتشام، وامتلاء الجامع والطرقات برمم القتلى، واستمر هذا الخطبُ من صحوة نهار السبت إلى أثناء يوم الثلاثاء، والقلعة قد نقب عليها من عدّة أماكن، ورُدِمَ خندقها، ولم يبق إلا أن تؤخذ، فطلب النوابُ الأمان، ونزل دمرداش إلى تيمورلنك فخلع عليه ودفع إليه أماناً، وخلعاً للنواب، وبعث معه عدّة وافرة إلى النواب، فأخرجوهم ممّن معهم، وجعلوا كلَّ اثنين في قيدٍ، وأحضرُوا إليه، فقرّعهم ووبّخهم، ودفع كلُّ واحد منهم إلى من يحتفظُ به، وسيقت إليه نساءُ حلب سبايا،

وأحضرت إليه الأموال، ففرَّقها على أمرائه، واستمر بحلب شهراً، والنهبُ في القرى لا يبطل، مع قطع الأشجار، وهدم البيوت، وجافت حلب وظواهرها من القتلى، بحيث صارت الأرض منهم فراشاً، لا يجدُ أحد مكاناً يمشي عليه، إلا وتحت رجليه رمةٌ قتيل، وعَمِلَ من الرؤوسِ منابرٌ عدَّة، مُرتفعة في السماءِ نحو عشرة أذرع، في دور عشرين ذراعاً، حرز ما فيها من رؤوس بني آدم، فكان زيادةً على عشرين ألف رأس، وجُعِلَت الوجوه بارزةً يراها من يمرُّ بها، ثم رحل تيمورلنك عنها، وهي خاويةٌ على عروشها، خاليةٌ من ساكنيها وأنيسها، قد تعطلَّت من الأذان، وإقامة الصلوات، وأصبحت مُظلمةً بالحريق، موحشةً قفراءً مُغبرةً

### العربان يخلصون حلب من تيمورلنك

وفي جمادى الأولى، لما ورد الخبرُ بأنَّ تيمورلنك رحل عن حلب، ثار ابن رمضان، وابن شهري، وابن صاحب الباز، وأخذوا حلب من أصحاب تيمورلنك، وقتلوا من بها منهم، وهم يزيدون على ثلاثة آلاف.





## وأخيراً

فمهما توالى على الأمة المحن، وتكالت عليها الابتلاءات، فينبغي ألا يدب اليأس في قلوب أبنائها، وألا يُصيبهم الإحباط، وأن يثقوا بموعود الله تعالى لهم بالنصر والعاقبة، وإن تأخر؛ فالله عز وجل قد وعد أوليائه بالنصر والتمكين والغلبة: قال سبحانه: {وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصفات: ١٧٣]، وقال تعالى: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]. وعلى الأمة أن تعمل بمقدمات النصر؛ من الرجوع الصادق إلى الله تعالى، والتمسك بشرعه؛ فهو السبيل الوحيد لنجاتها مما ألم بها، وأن يسعى قادتها لشمْلِها في مواجهة تكالب الأعداء، وألا تهمل أسباب النهوض، ولتعد ما استطاعت في مواجهة كل المخاطر المحدقة بها. {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.